عملية التواصل اللغوي عند رومان جاكبسون

دراسة بحثية

الدكتورة / ليلى زيان

المركز الجامعي غليزان – الجزائر

البريد الإلكتروني : urltassnime@gmail.com

الملخص

لقد شهد الدرس اللّساني الحديث تطورا هامّا على مستوى المناهج المتّبعة في دراسة اللّغة، و تولّد عن هذا التطوّر فهوما مختلفة على مستوى وظيفة اللّغة سواء من الناحية اللّغوية الخالصة أو من الناحية الاجتماعية ممّا أدّى إلى اختلاف في تفسير الظاهرة اللغوية في حدّ ذاتها وكذا الأدوات الإجرائية الجادّة التي تساعدنا على تفسير النصّ أو الخطاب اللّذين تنتجهما اللّغة، ونظرية رومان جاكبسون (Roman Osipovich Jakobson) ماهي إلاّ إسهام علميّ يبرز في سياق هذه التحاليل للظاهرة اللّغوية.

ونظرية التواصل اللغوي هي من أهم النظريات اللسانية الحديثة ، و رومان جاكبسون يعدّ المنظر الحقيقي لها ؛ إذ إنها تنسب إليه على الإطلاق رغم أن إرهاصاتها الأولى ظهرت عند سوسير؛ حيث بينت هذه النظرية أن اللّغة تقوم على وظائف أساسية في العملية التواصلية حددها في ستة عناصر: المرسل ووظيفته تعبيرية ، والمرسل إليه ووظيفته إفهامية، والمرسلة ووظيفتها شعرية، والقناة ووظيفتها انتباهية، والسياق ووظيفته مرجعية ، والقانون ووظيفته ماوراءاللغة.

اهتم جاكبسون بالتواصل اللغوي والتواصل غير اللغوي، كما أعطى أهمية للسياق؛ باعتبار أنّ معاني الكلمات لا تتجلى إلا من خلال فعل التواصل بمجمله؛ مما جعلت نظريته تنماز عن ماقدمه اللغويون قبله ، فوضع بصماته بجدارة في مجالات معرفية عديدة؛ من بينها علم التربية، وعلم الاجتماع، والإعلام ، وعلم التخاطب، وغيرها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات – اللغة – التواصل- الوظيفة -الخطاب

ABSTRACT

Lingual lesson has significant development at the level of modern approaches to the study of language, And this development has generated various interpretations on the level of language function; Either linguistically or socially exclusive, resulting in differences in the interpretation of linguistic phenomenon in itself, As well as the serious procedural tools that help us interpret the text or speech which language, newest vehicles, Jacobsen is a scientific contribution theory appears in the context of the analysis of the linguistic phenomenon.

And the theory of linguistic communication is one of the most important modern theories of linguistics, and Roman Jacobson is a true parallax them; as it is attributed to him at all despite The first signs appeared to Saussure where this theory has shown that the language is based on the basic functions in the process communicative identified six elements: the sender: the *expressive* function, and the receiver: the *evocative* function, and the message and function of poetry, and the channel: the phatic function, and the context: referential function, the code: the metalingual functions.

Jacobson interested in linguistic communication and nonlinguistic communication, and given the importance of the context; where to put its mark in many areas of knowledge; including pedagogy, sociology, media, science and communication, among others.

Keywords: Linguistics – Language – communicating- Function - discourse

مقدمة

إنّ اللّغة وُجدت منذ أن وُجد الإنسان ؛ حيث لا بديل عنها في التواصل و التعبير عن مختلف الرغبات و الأفكار، كما أنّها تعتبر مساعدا آليًّا للتّفكير. و يكاد يجمع علماء اللغة حديثا على أنّ الوظيفة الأساسية للّغة هي التعبير والإبلاغ أوالتوصيل للأفكار ، مثلما أشار إلى ذلك أندري مارتيني André Martinet . فاللغة هي الأداة الأكثر فعالية في تمكين الفرد من الدخول في علاقات وتفاعلات اجتماعية مختلفة ، ويحدّدها دي سوسير F . de Saussure من خلال التقابل بين الاجتماعي والفردي ، ومن خلال التقابل بين الذاكرة والإبداع ، والتقابل بين النظام والاستعمال .

واللّغة نشاط إنساني يتطور بالممارسة وفق الأنماط المتاحة ، وحسب المقامات ومقتضيات الأحوال ، وهي تؤثر بطريقة طردية في عملية الاتصال والإبلاغ من خلال عاداتها و طرائق أساليبها في الكلام ، وبذلك تصبح اللّغة جزءا مهما من تلك العملية ؛ وهي العملية التي يتفاعل فيها المرسل والمستقبل من خلال مضامين اجتماعية معيّنة يتم فيها نقل الأفكار والأحاسيس والتخيلات وغيرها.

نظرية التواصل عند دي سوسير:

إنّ فكرة التواصل عند دي سوسير تتجلى في تلك التّصورات التي عالجها في أصولها البيولوجية والفيزيائية ؛ لمّا جعل نقطة انطلاق الدارة في دماغ أحد المتحاورين ؛ حيث تترابط وقائع الضمير المسماة تصورات (Concepts) مع تمثيلات العلامات اللسانية ، أو الصّور السمعية (Images acoustiques) في التعبير عنها[1].

ونقطة بدء الدارة هي في دماغ أحدهما ؛ حيث توجد أحداث التفكير التي نطلق عليها (أفكارًا) ، مختلفة بغيرها من العلامات اللغوية والصّور الصوتية المستخدمة في الكلام .

وهنا يصف دي سوسير كيفية التداخل الواقعي بين المجال النفسي للطرف البات (L'émetteur) مع جانبه الفيزيولوجي في المراكز الدماغية المسؤولة عن إرصاد وتوجيه عملية التخاطب اللفظي ؛ حيث إنّ تصوُّر ما يثير في الدماغ صورة سمعية مماثلة ، وهذه ظاهرة نفسية كليًّا تتبعها بدورها آلية فيزيولوجية ؛ فالدّماغ ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبة ملازمة للصورة ، ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتحدث (أ) إلى أذن المتحدث (ب) ، وهذه آلة فيزيائية بشكل صِرف ، ثم تستمر الدارة حتى المستمع (ب) في اتجاه معاكس ، وهو نقل فيزيولوجي للصورة الصوتية ، وفي داخل الدماغ يحدث تداعٍ نفسي لهذه الصورة مع الفكرة المقابلة ، فإذا تكلم (ب) بدوره فإن هذا العمل الجديد سوف يتتابع من دماغه إلى دماغ (أ) ، وهي نفس الرحلة الأولى ، وسوف يمر بنفس المراحل المتابعة .

ولتوضيح هذه الدارة الكلامية التي رسم لها " دي سوسير " مخطّطًا نظريا في تحليله لظاهرة التواصل والتخاطب ، أو ما أطلق عليه اسم " التحاور ". وإليكم الرسم التالي[2]:

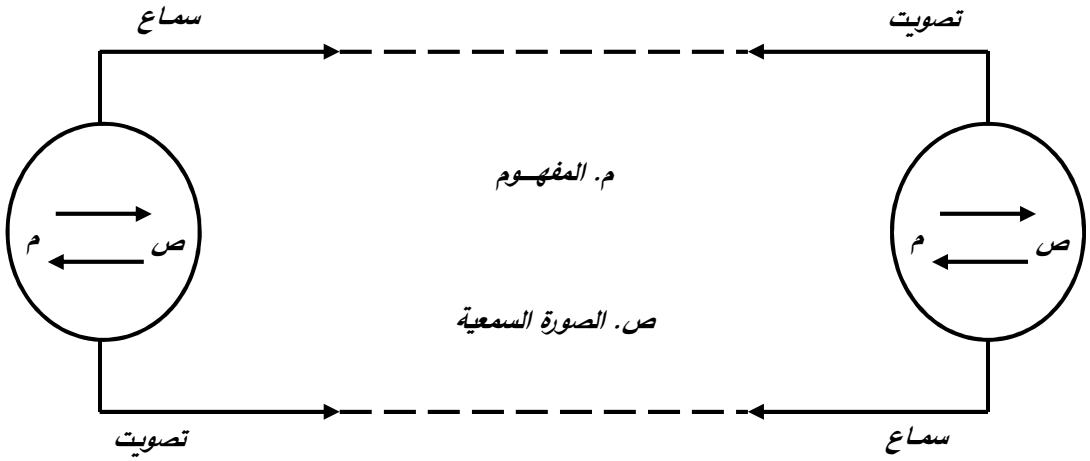

إنّ الملاحظة الأوّلية للمخطّط هي ظاهرة الانغلاق، وإن كانت خصيصة لغوية لها علاقة خالصة بالظاهرة اللغوية ، فإنّه في حدود الإمكان استثمار هذه الخصيصة في عملية التخاطب ؛ حيث يعتبر الكلام دعما فرديا دائما ، وللفرد طغيان دائم عليه[3]. كما يمكن القول أن سوسير ربط فعل التواصل بالحدث الكلامي؛حينما افترض وجود شخصين(أ) و(ب) يقوم التواصل بينهما.

وهذه الدارة الكلامية التي قدمها دي سوسير تنقسم إلى :

---

[1]– فردنان دي سوسير: *محاضرات في الألسنية* العامة. ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر. المؤسسة الجزائرية للطباعة. الجزائر . 1986 : ص23 .
Cours de Linguistique générale : F .de Saussure. P 26.

[2]– *Cours de Linguistique générale*: P 27.

[3]– المرجع نفسه : ص 28 . ينظر: د. عبد الجليل مرتاض: *اللغة والتواصل*. دا هومة. الجزائر . 2000 . ص 38 وما بعدها .

(أ) جزء خارجي في صورة (ذبذبات الأصوات الذاهبة من الفم إلى الأذن) ، وجزء داخلي يشمل كل ما تبقى .
(ب) جزء نفسي ، وجزء غير نفسي ، وهذا الثاني شامل أيضا للأحداث الفيزيولوجية التي تصدر عن الأعضاء ، ويضم الأحداث المادية الخارجة عن الفرد .
(جـ) جزء إيجابي ، وجزء سلبي ؛ فكل ما يصدر عن مركز التداعي من أحد الفردين إلى أذن الفرد الآخر هو إيجابي ، وكل ما يصدر عن الأذن إلى مركز تداعيه هو سلبي[1].

أخيرا في الجزء الفيزيائي المادي الموجود في الدماغ يمكن أن نطلق وصف (المتكلم) على كل ما هو إيجابي (مفهوم ⟵ صورة صوتية) ، ونطلق وصف (المستقبل) على كل ما هو سلبي (صورة صوتية ⟵ مفهوم) .

ويجب أن نضيف ملكة الترابط والتنسيق التي لا تظهر إلاّ إذا اختفت العلامات المفردة ، وهذه الملكة هي التي تقوم بأكبر دور في تنظيم اللغة من حيث هو نظام[2].

إنّ محوري الاستقبال والإرسال تشكلها القدرة على الاستقبال والتنسيق معا للرموز اللّغوية، وهي ملكة وقدرة يستحيل بدورها أن تتشكل ما لم يكن الطرفان المتخاطبان على لياقة متماثلة أو متقاربة في استخدام هذه الأنساق في التعبير عن فكرهما الشخصي ، وكذلك أن يتوفرا على الآلية النفسية القادرة على إدراك وفهم وتفكيك الوحدات الصوتية الوافدة إلى المراكز البيولوجية الناشرة والقارئة لها ، والقدرة الفيزيائية التي يستخدمها لربط الطرف الثاني لجهازه التواصلي بحيث يعيد إرسال تصور جديد عبر صورة سمعية ، فيتحقق التواصل في ظروف وشروط ملائمة[3].

وانطلاقا من الدارة الكلامية عند " سوسير " يمكن أن نستخلص مجموعة من العناصر الجوهرية التي بنى عليها " جاكبسون " دارته التواصلية فيما بعد ، وأهم هذه العناصر هما طرفا التخاطب ، أو التواصل ، أو التحاور ؛ أي المرسل والمرسل إليه ، أو بعبارة سوسير : (المتكلم والمستقبل ، وكذلك القدرة أو السنن ، والعنصر الرابع المُرسَلة أو الصورة السمعية الموجهة من المتحاور (أ) إلى السامع (ب)[4].

وإذا كان المتكلم أو المرسل وكذا المستقبل أو المرسل إليه ، أساسيين في أي خطاب أو تواصل ، ويتفق الكل على ضرورة تصدرهما مجموع العوامل المكونة لدارة التواصل ، فإن الذوات التي تقدم بواسطتها التفسيرات وإن اختلفت من وضع خطابي إلى آخر – تبقى موضوع الخطاب أو مرجعه الذي ينطلق منه ، ويدور حوله ، ويعود إليه ؛ لأنه يشكل في النهاية انطولوجيا* الخطاب[5].

التواصل اللغوي عند جاكبسون :

إنّ الخلفية اللّسانية التي وجّهت أعمال "رومان جاكبسون " هي النوذج السوسيري في مفهوم العملية التواصلية اللسانية ، وقد حاول إخراج اللسانيات من مأزق القصور على المنظومة اللّغوية المعتمدة على جملة من العلامات والرموز ، فأرسى القواعد والأسس المنهجية لدراسة وظيفة الخطاب ، معتمدا في ذلك التقابل بين محوري الترابط والاستبدال[6].

---

[1]– *Cours de Linguistique générale*: P 28.

[2]– المرجع نفسه: ص 28.

[3]– المرجع نفسه: ص 29.

[4]– د. الطاهر بومربز : *التواصل اللساني والشعرية*. الدا العربية للعلوم. بيروت لبنان. ط1 .2007 : ص 19.

* تعني علم الوجود أحد مباحث الفلسفة معادل للميتافيزيقا ؛ و أطولوجيا الخطاب تعني ما وراء الخطاب.

[5]– د. الطاهر بومربز : *التواصل اللساني والشعرية* : ص 21.

[6]– المرجع نفسه : ص 24.

إن التواصل في الحدث الكلامي إنما يستدعي في العملية التواصلية (الإبلاغية) ستة عوامل ؛ ذلك أنّ المرسل يرسل مرسلة لغوية إلى المرسل إليه ، غير أن هذه المرسلة لكي تكون مؤثرة في المستمع المتلقي ؛ فهي تقتضي بداءة سياقا - أو مرجعا – تحيل عليه ، ثم سننا مشتركا بين المرسل و المرسل إليه . و أخيرا تقتضي المرسلة وسيلة اتصال ، أو قناة فيزيائية - الصوت ، الكتابة – لتتمكن من تثبيت الاتصال[1] .

لقد توصل جاكبسون إلى وضع العناصر الأساسية لعملية التواصل اللّساني و التي استلهم منها الوظائف اللّغويّة الست ، وقد ظهرت لأوّل مرّة سنة 1948[2] ، وهي مهمة في الوضع التخاطبي بمختلف مستوياته ومميزاته ، لتبلغ بذلك ستة عوامل وهي : المُرْسِل ، والمرسلة ، والمُرسَل إليه ، والقانون ، والمرجع ، والقناة.

1- المرسل (Destinateur) :

وهو مصدر الخطاب المنتَج والمقدَّم ؛ إذ يُعتبر رُكنا حيويًّا في الدَّارة التواصلية اللسانية ؛ فهو الباعث الأول على إنتاج خطاب يوجَّه إلى المرسل إليه في شكل مرسلة ، وقد تداول اللسانيون هذا العامل باصطلاحات مختلفة من بينها : الباث (L'émetteur) ، والمخاطِب أو الناقل ، أو المتحدِّث[3].

وتختلف القيود المنطقية والمنهجية المتعلقة بالمرسل حسب وضعه التخاطبي ، وطبيعة خطابه المرسل إليه ؛ فخطاب سياسي موجه إلى كل الناس لا يتحتم فيه على رجل السياسة أن يوظف كل الأنظمة اللّسانية التي يكون فيها المستقبلون على لياقة تداولية معتبرة ؛ وأما الخطاب العادي فيختلف عنه من حيث قيوده ؛ إذ يكون بسيطا في سننه وقيمته الإخبارية ، ودرجة الحمولة الممكنة التي تستوعبها الأبنية اللسانية المستخدمة ، بينما يتعالى الخطاب الشعري ، وتزداد فيه التملصات والانزياحات عن عالم الواقع أو الإطار المرجعي للنظام اللغوي المستعمل[4].

المرسِل عند جاكبسون هو مصدر المرسلة أي المكان الذي تتولد وتنتج منه خيوط المرسلة و تكتمل، و هو لا يقصد به الأشخاص وحدهم بل يطلق على جميع أجهزة التواصل مثل الراديو، التلفاز، و وسائط الاتصال المتنوّعة الأخرى.

2- المرسل إليه (destinataire) :

وهو يقابل المرسل في الدارة التواصلية أثناء التخاطب، وقد أطلق عليه مجازا المصطلح الفيزيائي : المستقبل (Le récepteur)، وهو يستهدف من عملية النقل الاتصالية تفكيك المرسلة الكلامية (Décodage) ؛ سواء كانت كلمة أم جملة أم نصًّا[5].

وقد ميّز العالم أوريكيوني (k . orechioni) بين صنفين من مستقبلي المرسلة الكلامية وهما : المرسل إليه مباشرة (destinataire direct) ، والمرسل إليه غير المباشر (destinataire Indirect)؛ فالمفارقة من خلال عنصر هام في العملية التواصلية وهو المسافة أو البعد ، وهذا التحليل الوظيفي يفضي إلى تحديد المسافة ببعديها الزماني والمكاني ، واللّذين تتحدّد من خلالهما طبيعة الخطاب ومميزاته؛ فخطاب حواري بين صحفي ومستضاف لديه يتطلب التواصل المباشر زمانًا أو مكانًا على الأقل ، بينما يبقى العمل الإبداعي الفني خطابا متميّزا بالكفاءة العالية في تحويل المتلقي له إلى

---

[1] – د.حنيفي بناصر ود. مختار لزعر : *اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية*. ديوان المطبوعات الجامعية . . الجزائر .2009.ص 118

[2] – ينظر: أحمد مومن : *اللسانيات : النشأة و التطور* . ص 148.

[3]– المرجع السابق : ص 24 .

[4]– المرجع نفسه: ص 25.

[5]– المرجع نفسه: ص 25. د. صالح بلعيد: *دروس في اللسانيات التطبيقية*. ص 45.

مستقبل لخطابه مهما اختلف المرسل والمرسل إليه في الفضاء الزمكاني ؛ لأنه في معظم الحالات خطاب غير مباشر لمتلقي غير مباشر[1].

3- المرسلة (message) :

وهي مضمون وموضوع الخطاب في عملية التواصل اللغوي ، ومن خلالها نبث أفكارنا ومشاعرنا الانفعالية ، ويجب أن تكون ملائمة للمرجع وللمخاطب المستقبل ، وتكون مقبولة من طرف هذا الأخير ، فلا يمكن أن تحدث عملية تواصل إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها بين طرفي الخطاب ؛ لأن التواصل لا يكون نافذا إلا إذا استطاع المتلقي تفكيك الرسالة ، مما يؤدي إلى ترك تأثير يعبّر عنه من خلال رفع الصدى[2].

وقد وردت في قاموس اللسانيات بمعناها العام أنها وحدة الإشارات المتعلقة بقواعد تركيبات محدودة (مضبوطة) يبعثها جهاز البث (الإرسال) إلى جهاز الاستقبال عن طريق قناة حيث تستعمل كوسيلة مادية للاتصال[3].

بينما يتكلم جاكبسون على التواصل اللساني عندما يوضح أنّ عملية فك الرّموز تنتقل من الصوت إلى المعنى ؛ أي أن عملية التحليل والتركيب للأبنية المجسّمة في رموز دلالية معينة مقنّنة اجتماعيّا تنتقل إلى المدلول بشكل آلي باعتبار أنّ العلامات اللّغوية تتألف من عنصرين هامّين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما الدّال و المدلول ، و بالتالي يؤدّي تفكيك الرموز (الدوال) إلى تفكيك وإدراك الجانب التصوري لها (المداليل) .

وانطلاقا من هذا العصر المقيَّد لمفهوم المرسلة اصطلح عبد السلام المسدي باسم الخطاب الأصغر على المرسلة أو النص؛ و هي تمثل في نهاية الأمر محتوى الإرسال[4].

4- القانون (code) :

لقد تعددت مصطلحات اللّسانيات فيما يخص هذا العامل أو العنصر في عملية الدارة التواصلية؛ فسوسير استعمل مصطلح اللغة، و لويس هلمسليف Louis Hjelmelev استخدم مصطلح النظام (système) ، و أمّا نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky فقد استعمل مصطلح الكفاءة أو القدرة (compétence) ، بينما استعمل جاكسون مصطلح القانون أو السنن (code). وهو يمثل القواعد المنظِّمة للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي، الذي ينتظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كلُّ نمط تركيبي؛ فمنه ينطلق الباث عندما يرسل مرسلته الخطابية حيث يعمل على الترميز (codage)، و إليه يعود كذلك عندما يستقبل مرسلة ما، فيفكك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية التي شحنت بها (décodage)[5].

و نجاح العملية الإبلاغية في وضع تخاطبي ما يعتمد في الأساس على النّظام أو القانون المشترك ؛ بحيث نجد لكل جماعة لغوية ولكل متكلم لغة مشتركة موحَّدة ؛ إلاّ أن هذا السنن أو القانون الشمولي يمثل نسقا من الأنواع النسقية الفرعية في التواصل المتبادل ، فكل لغة تشمل العديد من الأنساق المتزامنة التي يتميز كل نسق منها بوظيفة مختلفة .[6]

و بهذا يكون جاكسون قد اهتم اهتماما بالغا بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين ، بَدل الاهتمام فقط بسلوكهم اللفظي [1].

---

[1]– المرجع السابق : ص 25.

[2]– د. *دروس في اللسانيات التطبيقية* : ص 46. *اللغة والتواصل* : ص 41.

[3] – George Mounin: Dictionnaire de la Linguistique : P 314, presse universitaire. France 1974 .

[4] – ينظر: د . عبد السلام المسدي: *الأسلوبية و الأسلوب* . الدار العربية للكتاب . ط03. ص98 .

[5] – ينظر *التواصل اللساني و الشعرية* : ص28.

[6] – رومان جاكسون: *قضايا الشعرية* . ترجمة محمد الولي ومبارك حنون . دار توبقال . الدار البيضاء. المغرب . ط1. 1988. ص26 .

و هذه هي النقطة المشتركة بين تشومسكي و بين جاكبسون ؛ حيث اعتبر كل واحد منهما الأنظمة الذهنية عنصرا أساسيا في النشاط اللساني عند الأفراد و الجماعات اللسانية ؛ لأنها المرجع الذي يلجأ إليه كل سلوك لفظي سليم من اللحن و الخطأ.[2]

5- السياق (contexte) :

نلاحظ أن عملية التواصل اللغوي تقوم على مجموعة من العوامل الحركية الدينامية ، و التي تؤدي إلى التفاعل فيما بينها و ذلك من خلال الزمان و المكان ، و الظروف و الملابسات ، و أحوال المتكلمين و المستمعين ، و تحدث هذه العملية متضافرة مع هذه العوامل داخل مجال واسع يدعى أحيانا بالبينة التعليمية ، و تستعمل هذه العملية لأغراض منها : الإخبار ، أو التعبير عن العواطف و المشاعر ، أو التأثير في الآخرين ، أو الاستجابة لتوقعات الآخرين ، أو التخيل .[3]

و انطلاقا من هذا المفهوم لكل مرسلة مرجع تحيل عليه ، و سياق معيّن مضبوط قيلت فيه ، و لا تفهم مكونات هذه المرسلة ، أو تفكك رموزها القواعدية إلا بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها ، قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، و لهذا ألحَّ جاكسون على السياق باعتباره العامل المفعَّل للمرسلة بما يمدُّها به من ظروف و ملابسات توضيحية، و يصطلح عليه أيضا بالمرجع (référant)[4].

والسياق لا يجوز حصره في التمظهر اللّفظي كي تُفهم المرسلة ، حسب جاكبسون ، و لهذا دعا اللّساني الفرنسي " مانجينو " maingueneau إلى التمييز بين السياق اللغوي ، و السياق غير اللغوي[5].

إنّ السياق غير اللّغوي يمثّل المحيط الذي تنتج فيه المرسلة، وتتشكّل فيه أبنية الخطاب اللّفظي، ويمكن أن يدخل ضمن هذا السياق عنصري الموقع والهدف. ونعني بالموقع (site) الإطار الزمكاني(le cadre spatio-temporel)؛ إذ يجب أن يكون الخطاب المرسَل ضمن حيز مكاني و لحظة زمانية . أما عنصر الهدف (le but) فنعني به الغاية والغرض المقصود من عملية التواصل، و هنا نومئ إلى أنَّ من الأهمية بمكان أن نميز بين الهدف الكلي العام للتداخلات الكلامية، و الهدف الخاص الأكثر دقَّةً و تحديدًا لمواقف الأفعال الكلامية المتباينة المنجزة أثناء اللّقاء أو الالتقاء بين المرسل و المرسل إليه؛ إذ المحادثات التي تُؤدَّى هي ذات طبيعة علائقية أكثر منها واقعية؛ لأننا نتكلّم لأجل الكلام ولضمان حماية الوشيجة الاجتماعية .

كما لا ننسى عنصر المشاركين في عملية التواصل اللغوي (les participant) وذلك من حيث العدد والمميزات ودرجة علاقتهم بأطراف الخطاب.

6- القناة (canal) :

كل رسالة تتطلب قناة اتصالية ، وهي إمّا فيزيائية و إمّا فيزيولوجية بين المرسل و المرسل إليه، ذلك لإقامة الاتصال و الحفاظ عليه ؛ وذلك لغرض التأكد من سلامة القناة التي تمر عبرها المرسلة المتبادلة بين طرفي الخطاب أو محتوى التواصل .[6]

---

[1] – ينظر : د.عبد القادر الفاسي الفهري: *اللسانيات و اللغة العربية*. دار توبقال . الدار البيضاء. المغرب ط1 1985. ص65.

[2] – قضايا الشعرية : ص30 .

[3] – ينظر : *دروس في اللسانيات التطبيقية* : ص46.

[4] – *التواصل اللساني و الشعرية* : ص30.

[5] – المرجع نفسه : ص30.

[6] – المرجع نفسه : ص33.

ثم إنّ هذه العوامل الستة لعملية التواصل اللغوي عند جاكسون يمكن أن نوجزها من خلال المخطط الجاكبسوني التالي :

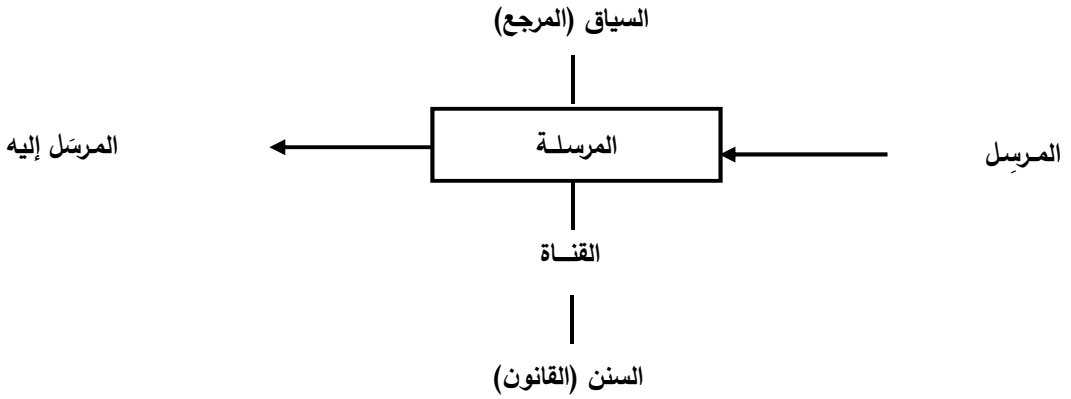

وللُّغة هدفان من عملية التواصل وهما : الهدف التأثيري الانفعالي والهدف العلمي . وفي دائرة هذين الهدفين نلفي الشعراء و الأدباء و الكتاب و المفكرين و الإعلاميين يحاولون التركيز على محوريهما.[1]

و انطلاقا من التفسير الوظيفي للعملية التواصلية - وعلاوة على هدفي اللغة السالفي الذكر- فإنّه من الأهمية بمكان التركيز أيضا في منتجات هذه العملية على مستويات التعبير الأسلوبية كالإقناع ، والإعلان ، والطرح ، و المتعة الفنية . يقول هرمان بول **Hermann Paul** : « إنّ الوظيفة الأساسية للّغة أن تكون أوّلا و قبل كل شيء وسيلة لنقل العواطف و المعلومات، أو سواها من الأمور » [2].

الوظائف اللغوية في عملية التواصل :

كل خطاب أو تواصل إنما تدور رَحاه في هذه المدارات الستة ، و ذلك مهما كان نوعه ، أو طبيعة الخطابات ، و جنسُها إنما يكون في تركيزها على أحد هذه العوامل الستة أكثر من سواه ، و بذلك تختلف وظيفة الخطاب من إخبارية ، أو انفعالية ، أو مرجعيه ، أو انتباهية ، أو شعرية .[3]

و إنّه من الأهمية بمكان أن نشير إلى هذه الوظائف الستة مع شيء من التفصيل ، وذلك لقيمة هذه النظرية العلمية في الدراسات اللسانية و الشعرية ، و لوجود هذا التكامل بين عناصر الخطاب ووظائفها، و تعاون هذا الكل على الإبلاغ و الإفهام .

1- الوظيفة التعبيرية (la fonction expressive) :

و يصطلح عليها أيضا بالوظيفة الانفعالية (Emotive) ، و هي تتمظهر على سطح الخطاب عندما تركز على المرسِل؛ لأنها تهدف إلى أن تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم تجاه ما يتحدث عنه، و هي تنزع إلى تقديم انطباع و انفعال معين صادق أو كاذب[1].

---

[1] – د. عبد القادر عبد الجليل: *الأسلوبية*. دار صفاء. عمان الأردن. ط1. 2002: ص209 .

[2] – المرجع نفسه : ص210.

[3] – ينظر: عبد السلام المسدي: *الأسلوبية و الأسلوب*. ص154. د, الهاشمي بوحوش : اللسانيات و تطبيقياتها على الخطاب الشعري : دار العلوم. عنابة . 2006. ص18.

و يمكن أن نقول أيضا إن الوظيفة الانفعالية بتركيزها على المرسِل تنزع إلى التعبير عن عواطف المرسل و موافقة إزاء الموضوع الذي يعبّر عنه، و يتجلى ذلك في طريقة النطق مثلا أو في أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوُّه أو التعجب، أو دعوات الثلب، أو صيحات الاستنفار أو غيرها[2].

و تتجلى وظيفة المواقف الانفعالية في ضبط الخصائص التعبيرية و الأسلوبية التي لامناص من أن تكون منسجمة مع طبيعة الرسالة المنجزَة حسب وضع خطابي معيَّن.

كما لا ننسى أن نذكر التشكيل الصوتي المنسجم مع إيقاع المواقف الانفعالية لهذه الإنجازات المختلفة ، وحينما يحضر هذا التشكيل الإيقاعي الانفعالي على مستوى عنصر المرسل تهيمن هذه الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية على عملية التواصل أو الخطاب، و يأخذ بذلك مرسل هذه الخطاب المكانة المركزية في النص و تعبيره عن أفكاره ومشاعره الخاصة، و تتجلى هذه الوظيفة مثلا في أدب السيرة الذاتية (Auto biographie) أو الشعر الغزلي أو شعر الرثاء[3].

2- الوظيفة الإفهامية (la Fonction cognitive) :

و يعرفها بعض علماء اللسانيات بمصطلح الوظيفة التأثيرية (la fonction impressive)، وهو مصطلح مهمٌّ يمكن من خلالِه أن نعمّق تفسير جانب الإفهامية لهذه الوظيفة ؛ ذلك أن من سمَّاها بالوظيفة الإفهامية نظر إليها من زاوية النظرية العقلية الفكرية، وأمّا من سماها بالوظيفة التأثيرية فقد نظر إليها من زاوية النظرية النفسية التي تحمل المدلول العاطفي[4]. وهناك من يصطلح عليها بالوظيفة الندائية (conative) ، وتحصل عندما يكون الهدف من الاتصال التأثير على المتلقي، وأيضا سُمِّيت بوظيفة النزوع.[5]

و هذه الوظيفة تبرز على سطح الخطاب عندما تركّز الرسالة على المرسَل إليه ذاته، و نجد ملامح هذه الوظيفة الإفهامية في التعابير الأكثر خلوصا في النداء والأمر اللذين ينحرفان، من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية في الغالب، عن المقولات الاسمية والفعلية الأخرى، و تختلف جمل الأمر عن الجمل الخبرية في نقطة أساسية ؛ إذ الجمل الخبرية يمكنها أن تخضع لاختبار الصدق أو عدمه ، و لا يمكن لجمل الأمر أن تخضع لذلك[6]. ونجد هذه الوظيفة تهيمن، و تفرض كثافة حضورها مثلاً في الأدب الملتزم والروايات العاطفية ؛ لأن هذين الجنسين الأدبيين يعتمدان على مخاطبة الآخر، و محاولة التأثير فيه و إقناعه من خلال عناصر هذين الأخيرين؛ مثل عنصر المفاجأة و هو تولُّد غير المنتظر من المنتظر، و كذا عنصر التشبُّع و هو يمثل العملية التكرارية لخاصية معينة ؛ إذ تتناسب بشكل عكسي مع روعة وجمال الخطاب؛ فالمفاجأة تهتز لها النَّفس بفضل شحنتها التأثيرية العالية لكونها غير منتظرة، و أمّا الشحنات المتكرِّرة بشكل متواتر تحدث تشبعا في نفس المستقبل.

و فضلا عن عنصري المفاجأة والتشبع، فهناك عنصران آخران لا يقلان أهمية عنهما في الوظيفة الإفهامية ، و هما عنصر الإقناع والمتعة الفنية أو الإمتاع ؛ فالأول يرمي إلى سحب المتلقي نحو أفكار و قناعات المنتج للخطاب أي المرسِل ، بينما يهدف الآخر إلى إدخال المتعة و النشوة في نفس المتلقي ؛ فينطفئ حينئذٍ أو يتلاشى تدريجيا الجدول المنطقي العقلاني في الخطاب ، و تحل محله نفثات الارتياح و الانتشاء الوجداني العاطفي.[7]

---

[1] – *رومان جاكبسون :*قضايا الشعرية. ص29. نقلا عن: التواصل اللغوي و الشعرية : ص35.

[2] – ينظر *: الأسلوبية و الأسلوب* : ص158.

[3] – ينظر *: التواصل اللساني و الشعرية* : ص38.

[4] – المرجع السابق : ص39.

[5] – ينظر، د, أحمد مومن: *اللسانيات النشأة و تطور*.. ص148، اللغة و التواصل : د.عبد الجليل مرتاض . ص88.

[6] – *قضايا الشعرية* : ص29.

[7] – ينظر : *التواصل اللساني* : ص 41.40.39

3- الوظيفة الانتباهية (la fonction phatique) :

و مصطلح الانتباهية هو حسب جاكبسون في كتابه : قضايا الشعرية ، من اقتراح و اصطلاح مالينوفسكي **Bronisław Kasper Malinowsk** في كتابه : قضية المعنى في اللغة البدائية.[1] وهناك من يسميها وظيفة إقامة الاتصال[2] ، و هي متعلقة بالقناة .

وهذه الوظيفة تبرز على سطح الخطاب حينما يكون هناك أنماط لغوية تقوم بأدوار خارجية عن نطاق الخطاب الإبلاغي لتزويد المتلقي بقيم إخبارية ، كما تؤدي وظيفة المحافظة على سلامة جهاز الاتصال ، و التأكد من استمرار سلسلة الرسائل الموجهة إليه على الوجه الذي أرسلت به ، و هذا ما ذهب إليه جاكبسون عندما أقرّ بأن هناك رسائل توظف في الجوهر ؛ لإقامة التواصل و تمديده أو فصمه ، و توظف للتأكّد ممّا إذا كانت دورة الكلام تشتغل مثل : ألو! هل تسمعني!؟ ، و توظَّف لإثارة انتباه المخاطَب أو التأكد من أن انتباهَه لم يرتخِ مثل : قل تسمعني ، أتفهمني!؟...و هنا تسحب العملية التواصلية قليلا من دائرة المرسلة للتأكد من ممرها[3]. و لهذا نلاحظ اشتراك كل من الباث و المستقبل في إنتاج هذه الوظيفة ، فيسأل الأوّل : ألو هل تسمعني ؟ و يجيب الثاني : هم هم ، إشارة إلى سلامة الاتصال عبر القناة المستخدمة في العملية التواصلية المشكَّلة دائريًّا كما يلي :

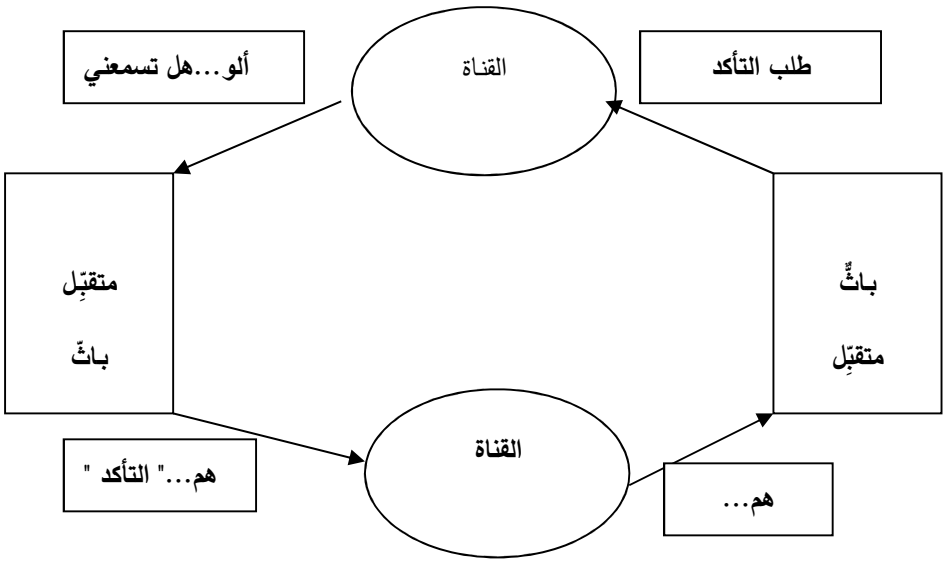

4- الوظيفة المرجعية (la fonction référentielle):

[1] – *قضايا الشعرية* : ص30. نقلا عن: *التواصل اللساني و الشعرية* : ص43.

[2] – ينظر : *اللغة و التواصل* : ص 88. د . بسام بركة: *معجم اللسانية*. منشورات جروس – برس . بيروت.ط 1 .1985.ص 84.

[3] – ينظر *التواصل اللساني* : ص 43 . *اللسانيات النشأة و التطور* : أحمد مومن . ص 149.

وردت لهذه الوظيفة مصطلحات أخرى ، من بينها الوظيفة المعرفية (cognitive) ، و أيضا الوظيفة الإيحائية (Démotive) ، و كذلك الوظيفة الإخبارية؛ إذا كان الاتصال يستهدف المرجع ذاته ، فنحن بصدد الحديث عن هذه الوظيفة المرجعية الإخبارية[1].

وهذه المصطلحات كلها تشترك في كونها تومئ إلى الوظيفة المهيمنة عندما تتجه المرسلة إلى السياق أو المرجع، و تركز عليه. وتتلون هذه المرسلة بهذه الوظيفة عندما يكون محتواها مؤيدا للأخبار الواردة فيها باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها و تقوم اللغة فيها بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة[2].

5- الوظيفة الماوراء اللغة (la fonction métalinguistique):

وهذه الوظيفة تبرز أحيانا بين المتخاطبين على سطح الخطاب عندما تستدعي الحاجة التأكد من الاستعمال السليم للقانون والسنن ؛ إذ يكون الخطاب مركزا على السنن ؛ لأنه يشغل وظيفة الشرح والتفسير. فيتساءل المستمع أحيانا؛ إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله ! ؟ أو بأسلوب رفيع : ما تقوله ؟.[3] و النطق الحديث يميز بين مستويين من الكلام ؛ هما الكلام عن الأشياء ، والكلام عن الكلام أو ما يسمى "ميتالغة" (métalangue).[4]

وهذا النوع من الخطابات التي تتمظهر من خلالها وظيفة ما وراء اللغة يتعلق بالرصيد اللغوي الذي يتوفر عليه كلا المتخاطبين من الناحية التركيبية، والصرفية، والدلالية، ومن ثم يصبح حقل الرسائل الميتالسانية يتربع على كل الأفنان اللغوية وفروعها.

وانطلاقا من المفاهيم المتدرجة من المجرد إلى الملموس ومن المفهوم إلى الإجراء نحصل على صنفين من المفاهيم وهي:

أ - المفاهيم المادية أو المستوى المعجمي.

ب - المفاهيم العلائقية أو المستوى النحوي للغة.

وتكثر هذه الأنماط الخطابية التي تهيمن عليها الوظيفة الميتالسانية (الماوراء لغوية) ، عندما تكون المرسلة في وضع خطابي تلقيني أو تعلمني، وخاصة اكتساب الطفل للغة الأم. وهذا يعني أن القدرة التي يكتسبها الطفل هي التي تجعله قادرا على استعمال السنن، ولو عن غير وعي وإدراك منه، بطريقة سليمة وصحيحة ، أو على الأقل قابلة لأن تكون مفهومة من قبل المتلقي[5].

والدليل القطعي عند جاكبسون، على أن العمليات الميتالسانية هي التي تتحكم في كل العمليات الإنتاجية للنماذج الملموسة المشكلة لخطاب ما، هو أن الفرد عندما يصاب بالحبسة (L'aphasie) يصبح عاجزا على إنتاج مثل هذه الخطابات؛ لأنه افتقد تلك القدرة الموجهة في شكل عمليات ذهنية مجردة، وتوصف الحبسة بأنها افتقاد القدرة على العمليات الميتالسانية، أو بعبارة أدق هي فقدان القدرة على عمليات الاختيار والتركيب، أو ما يعرف بالانتقاء والتأليف[6].

---

[1]- *الأسلوبية والأسلوب* : ص 159. *اللغة والتواصل* : ص 88.

[2] - *الأسلوبية و الأسلوب* : ص159.

[3]- *جاكبسون :قضايا الشعرية*.ص31.

[4] - *التواصل اللساني* : ص47.

[5] - جاكبسون: *قضايا الشعرية* . ص 31.

[6] - المرجع السابق : ص 31. ينظر : لومان جاكبسون وموللس هاله : *أساسيات اللغة*. ترجمة: سعيد الغانمي . المركز الثقافي العربي. بيروت. ط1 . 2008 . ص 114.

وترتبط مكونات أية مرسلة ارتباطا ضروريا بالسنن أو الشفرة عن طريق علاقة داخلية ، وبالمرسلة عن طريق علاقة خارجية ، وتهتم اللغة في مظاهرها المتنوعة بكلا نمطي هذه العلاقة ؛ سواء أتم تبادل الرسائل أو استمر الاتصال باتجاه واحد من المرسل إلى المتلقي ؛ إذ لا بد من وجود نوع من المجاورة بين المشتركين في أي حدث كلامي لضمان نقل المرسلة. أما الفاصل في المكان وفي الزمان ففي الغالب بين الأفراد ، هو المرسل والمتلقي ، ويتم ردمه عن طريق علاقة داخلية (ماوراء اللغة) ؛ إذ لابد من وجود تسام معين بين الرموز التي يستعملها المرسل والرموز المعروفة والمؤولة لدى المتلقي (فونيمات ، كلمات ، جمل...) ، وهي منتقاة من مستودع جميع الأجزاء الممكنة المكونة (الشفرة) ، ومن دون هذا التساوي تكون المرسلة مقطوعة خالية من الدلالة، وحتى إن وصلت إلى المتلقي فإنها لا تؤثر فيه[1].

6- الوظيفة الشعرية (La Fonction poétique) :

هناك من يصطلح عليها بالوظيفة الاستثنائية[2] ، والغرض من هذه الوظيفة هو تطوير شكل المرسلة بذاتها ، وهي أكثر ما تظهر على سطح الخطاب في الأنماط الأدبية الجمالية وعلى رأسها الشعر ، لذا نُسب إليه فسُمّيت بالوظيفة الشعرية.

ونلمح تعريف الشعرية عند جاكبسون عند جعلها علما قائما بذاته ، ضمن فروع اللسانيات ؛ وحددها بوصفها الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما وفي الشعر على وجه الخصوص[3].

فكل مرسلة لفظية عند جاكبسون تكون بهذه الوظيفة، ولا تكاد تغيب عن أية مرسلة ، لكنها ليست الوظيفة الوحيدة في مجال فن القول، وإنما هي الوظيفة الغالبة فيه.

[1]- جاكبسون ومولى هالة : *أساسيات اللغة*, ص 115- 116.

[2] - ينظر : *اللسانيات : النشأة والتطور* .ص 149.

[3] - *قضايا الشعرية* : ص 31.

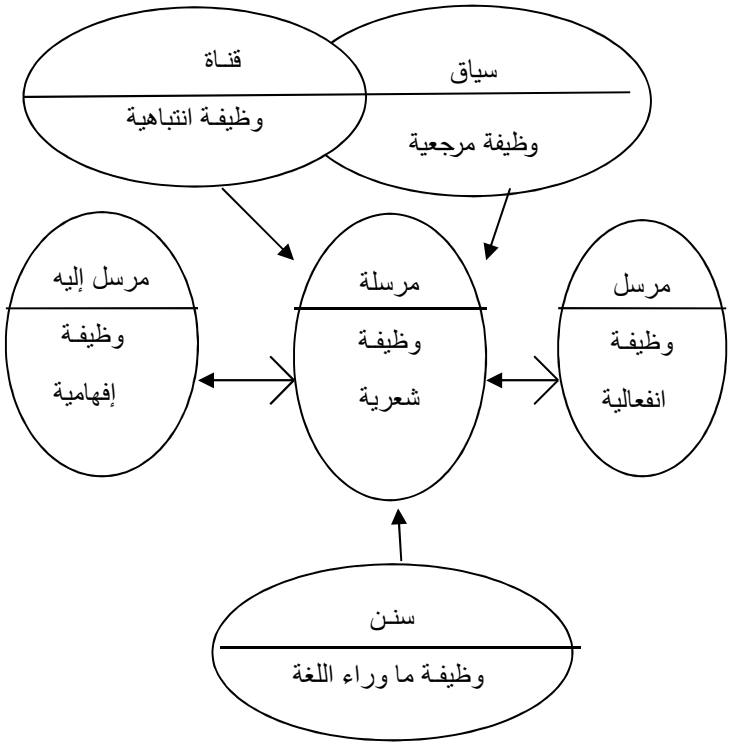

مخطط الوظائف اللغوية عند جاكبسون

إنّ نظرية التواصل من أهم النظريات اللسانية الحديثة التي تنسب إلى جاكبسون على الإطلاق ؛ رغم أنّه تأثر بلسانيين قبله، لكنّ الإضافات التي قدّمها جعلته رائدا بلا منازع ؛ حين تخطت نظريته تفسير الظاهرة اللغوية في حدّ ذاتها إلى تفسير ظواهر إنسانية أخرى؛ وبذلك تقاطعت مع النظرية التربوية، النظرية الاجتماعية ، و النظرية الإعلامية و غيرها.

لقد تجاوز جاكبسون بنظريته التواصلية في تفسير الظاهرة اللّغوية النظرة الضيّقة للمنهج البنيوي الّذي أسّسه دي سوسير ومن جاء بعده؛ والّذي حصر اللّغة في تفسيرها في ذاتها ولم يتعدّاها إلى مستعمليها، واستطاع بذلك جاكبسون أن يستوفي كل العناصر الأساسية التي تتنازع هذه الظاهرة اللّغوية، و من وراء ذلك تتحدد وظيفة اللغة الحقيقية.

إنّ نموذج جاكبسون للشفرات اللّسانية ليس وحدويّا؛ فهو يُشرِك المخاطب في الحدث الكلامي. كما أنّه يشدّد على الوظائف الاجتماعية للّغة، باعتبارها مهمّة في الفعل الكلامي والغالبة عليه ، تبرز في الخطاب وفق ما يقتضيه الحال والمقام.

المراجع العربية

بسام بركة: *معجم اللسانية*. منشورات جروس – برس .ط 1 . بيروت. 1985.

صالح بلعيد : دروس في اللسانيات التطبيقية.دار هومه. الجزائر.2003.

حنيفي بناصر و مختار لزعر: *اللسانيات منطلقاتها النظرية و تعميقاتها المنهجية*. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 2009.

رابح بوحوش اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري : دار العلوم. عنابة . 2006.

الطاهر بومزبر: *التواصل اللساني والشعرية*. الدار العربية للعلوم. ط1. بيروت لبنان . 2007.

رومان جاكسون: *قضايا الشعرية* . ترجمة محمد الولي ومبارك حنوز. دار توبقال . الدار البيضاء. ط1 المغرب. 1988.

رومان جاكبسون ومورس هاله : *أساسيات اللغة* . ترجمة: سعيد الغانمي . المركز الثقافي العربي . ط1. بيروت. 2008 .

عبد القادر عبد الجليل: *الأسلوبية*. دار صفاء . ط1 . عمان الأردن. 2002.

فردنان دي سوسير: *محاضرات في الألسنية*. ترجمة : يوسف غازي ومجيد النصر . المؤسسة الجزائرية للطباعة. الجزائر . 1986.

عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربية.دار توبقال .الدار البيضاء.ط1 المغرب 1985.

أندري مارتيني: *مبادئ اللسانيات العامة*. ترجمة: أحمد الحمو. المطبعة الجديدة.دمشق.1985.

عبد الجليل مرتاض: *اللغة والتواصل*. دار هومة . الجزائر.2000.

عبد السلام المسدي: *الأسلوبية و الأسلوب* . الدار العربية للكتاب . ط03. دت.

عواطف كنوش المصطفى : *الدلالة السياسية عند اللغويين*. دار حراء.ط1, القاهرة.2007.

أحمد مومن : *اللسانيات : النشأة و التطوّر* . ديوان المطبوعات الجزائرية. الجزائر.2007.

المراجع الأجنبية

- de Saussure : Cours de Linguistique générale : Ferdinand de saussure.edition ENAG.3eme. Alger. 2004.

- George Mounin: Dictionnaire de la Linguistique : presse universitaire. France. 1974.